

حضور عرار في الشعر الأردني، شعر حبيب الزيودي نموذجًا

The Presence of Arar in the Jordanian Contemporary Poetry,

Habib Al-Zuyudy as a Case Study

أ.د. محمود محمد رمضان الديكي*

الملخص

تتناول هذه الدراسة حضور شاعر الأردن الأول، مصطفى وهبي التل، الملقب بـ (عرار) في الشعر الأردني المعاصر، وتتحو منحى وصفياً تحليلياً، فستقرئ هذا الحضور في نماذج شعرية لعدد من الشعراء، وتتخذ من شعر حبيب الزيودي نموذجاً، حيث كان لعرار حضور لافت في شعره، على مستوى الشخصية العرارية، والرموز الشعرية، واللغة الشعرية والإيقاع.

وقد خلصت الدراسة إلى أن مجمل الشعراء في الأردن قد وظفوا (عرارا) في أشعارهم، كما أن ذلك الحضور تجاوز الأردن إلى شعراء عرب، غير أن شعراء شمال المملكة الأردنية كان احتقاؤهم بعرار أكثر.

الكلمات الدالة: عرار، الشعر الأردني المعاصر، حبيب الزيودي، الشعر الأردني المعاصر، المنهج الوصفي التحليلي.

Abstract

This study explores the presence of the most famous poet in Jordan, Mustafa Wahby Attal (known as Arar) in the Jordanian contemporary poetry. It follows a descriptive analytical pathway via selected works of a number of poets: Habib Al-zuyudy as a model, where Arar occupied a significant presence in his poetry, on the level of Arar's personality, poetic symbols, poetic language as well as rhythm.

The study concluded that the poets in Jordan have by and large employed (Arar) in their poetic works, and that Arar's presence exceeded Jordan to Arab poets, but his presence at the northern Jordan poets was more prevalent.

Keywords: Arar, Contemporary Jordanian Poetry, Habib Alzuyudy, Jordanian, Descriptive Analytical Approach

المقدمة:

يمثل مصطفى وهبي التل (عرار) روحاً ناثرة على كثير من القيم الاجتماعية والأوضاع السياسية والثقافية التي كانت سائدة، فجاءت قصائده معبرة عن تلك الروح الراضة لواقعه، الوثابة لما هو سام ومشرق في مجتمعه، وقد كان يمتح من معين لا ينضب من القراءات التي شكلت شخصيته. يقول البدوي الملمث عن هذا:

"كان عرار دودة كتب، كما يقول الأوروبيون، وكان تواقاً لمعرفة كل جديد، يفضي به إلى معرفة حقائق الكون، وفك طلاسم العالم الثاني، ولقد أتاح له طموحه أن يقرأ شتى المؤلفات، ويقف على آراء طائفة من فلاسفة العرب والإسلام الذين نهلوا من معين الفلسفة الإغريقية، وقد عبّ من أدب الفرس، وأقبل على الكتب الصّغراء، وعلى فلسفة (المعري) و(ابن رشد) و(الغزالي)، ونظريات وآراء صديقه الفيلسوف التركي الدكتور رضا توفيق"¹

ولهذا "امتألت نفسه بقلق لا يستقر، ولا يتوادم مع الحياة من حوله، فكان عنيفاً في رفضه. فلسف الحب، والحرية، واللذة، وجعلها جميعها تعبيراً عن إحساس وجودي، صميم بالحياة، وكرهاً أصيلاً لمنغصاتها النابعة من مظالم المجتمع الطبقي من حوله، وتعسف السلطة الحاكمة في البلاد"²

وقد كان وعي عرار جزءاً جوهرياً من الوعي الشعري العربي الحديث، وكان واحداً من أبرز ممثلي اتجاه المتحررين من الشعراء العرب، كما يقول علي الشرع³

يقول العودا: "بعد زوال الحكم التركي عن البلاد العربية وانسلاخ الأردن عن سوريا الأم لم يكن للأردنيين عهد بالشغب ونقد المسؤولين، إذ كانوا مسالمين على الفطرة. ولكن عرارا أطل لسانه في نقد الأوضاع، وتجريح ذوي الشأن، فتارة يصارحهم شعراً بما يعتلج في صدره وأخرى يكشف لهم عن سريرة نفسه بمقالات عنيفة نشرها على صفحات الكرمل فيقوم لها المسؤولون ويقعدون، وبهذا كان شاعرنا صاحب أول مدرسة شغب على الحكام وأول من اكتوى من أفعالهم"⁴

(1) عرار شاعر أردني ولد في 25 أيار 1899، توفي في 24 أيار 1949. حول حياة عرار وشعره ينظر: عبد الله رضوان، عرار شاعر الأردن وعاشقه، منشورات أمانة عمان، 1999، ص 7-10. والمطلق، محمود، عشيات وادي الياض، ط1، 1954، مقدمة الديوان، والعودات، يعقوب (البدوي الملمث)، وأبو مطر، أحمد، عرار الشاعر اللامنتمي، 1977، ص 70-77 ومقدمة ديوان عشيات وادي الياض، تحقيق: زياد الزعبي، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، 2007م، ص 11 وما بعدها. و محمود عبيدات، سيرة الشاعر المناضل مصطفى وهبي التل (عرار)، 1981-1996، وزارة الثقافة، 1996.

(2) فحموي، كمال، مصطفى وهبي التل، 1899-1949، د.ت، ص 33.

(3) علي الشرع، عرار والأطروحات الشعرية الحديثة، مقالة ضمن كتاب مصطفى وهبي التل (عرار)، ص 165

(4) البدوي الملمث، عرار شاعر الأردن، ص 205

كان له روحه العابثة، وجراته السياسية، اللتان تمنحان لغته حريةً وانطلاقاً في قول ما يبدو له سليماً على المستوى الذاتي، في علاقاته الخاصة، وصحيحاً على المستوى الموضوعي، في علاقاته العامة⁵

الشعراء بوصفهم رموزاً شعرية

الرمز موضوع يشير إلى موضوع آخر وفيه ما يؤهله لأن يتطلب الانتباه لذاته بصفته شيئاً معروضاً ليس لذاته بل لما يرمز له⁶، لفتت ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية، بشكل عام وشخصيات الشعراء بشكل خاص في الشعر المعاصر؛ أنظار غير واحد من الباحثين، ويتضح من النظر السريع أن شخصية المتنبّي كان لها الحظ الأوفر من الحضور، فقد أضحت شخصيته رمزا شعريا عند مجمل الشعراء المعاصرين، من مثل محمود درويش والبياتي وأمل دنقل والبردوني وغيرهم، يقول عنه أدونيس "المتنبّي يفرز نفسه ويعرضها عالماً فسيحاً من اليقين والثقة والتعالي في وجه الآخرين - وصدّهم، وهو في ثنايا شعره كلّه يحتضن ذاته ويناجيها ويحاورها بنبرة من العبادة. إن شعره كتابٌ في عظمة الشخص الإنسانية؛ يسيّره الجدل بين اللانهاية والمحدودية: الطموح الذي لا يعرف غايةً ينتهي عندها"⁷، كما وظفت شخصيات شعرية تراثية أخرى تلك التي أصبحت رموزاً شعرية، فكان امرؤ القيس رمزا لمن فقد ملكه، والمهلهل رمزا للثأر، والنايعة للاعتذار، وقيس بن الملوح للحب الضائع، وديك الجن الحمصي للندم لات حين مندم، وغيرهم من الشعراء⁸. أما الشعراء المعاصرين فلا نعثر على أي منهم بوصفه رمزا شعريا باستثناء مصطفى وهبي التل، ذلك أنه شكل شخصية شعرية مميزة، على مستوى التجربة الشعرية وعلى مستوى الحالة الإنسانية السلوكية، فيما أطلق عليه "الحالة العرارية" لقد حضر بيت الشابي "إذا الشعب يوماً أراد الحياة" ولكن الشابي لم يحضر بوصفه رمزا شعريا، كما لم يحضر غيره من الشعراء الذين صاروا أعمدة الشعر العربي المعاصر من أمثال السياب ونزار قباني والجواهري وشوقي وغيرهم.

حضور عرار عند الشعراء غير الأردنيين⁹

لقد تجاوز عرار حدود أن يكون رمزا شعريا أردنيا ليصبح رمزا عربيا كما أراد هو لشعره وشخصيته أن تكون، ومن الشعراء الذين تمثلوا شخصيته في حياتهم وشعرهم الشاعر البحريني علي الشراوي¹⁰، من ذلك قصيدته "في صحبة

(5) الرياعي، عبد القادر، عرار الرؤيا والفن، ص244.

(6) رينيه ويلك وأوستن وارن، نظرية الأدب، ترجمة عادل سلامة الناشر: دار المريخ، الرياض الطبعة: 1412هـ، ص 257

(7) أدونيس، مقدّمة للشعر العربي، بيروت، دار العودة، ط1، 1971، ص (55-56).

(8) ينظر: عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، جامعة البعث، حمص: 1994، ص 9-40. وإحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، 1978. ص 137-173.

(9) حضر تأبين المرحوم مصطفى وهبي التل الذي أقيم في سينما زهران في إربد 1949 قرابة 50 شاعرا، منهم شعراء عرب كان لهم حضورهم على الساحة العربية، ينظر: ناهض حتر، تراثا المحلي، في رثاء عرار مواد من صحافة 1949 - 1950، المجلة الثقافية، ع 12 و13، الجامعة الأردنية.

(10) علي أحمد جاسم الشراوي شاعر من البحرين ولد سنة 1948، له العديد من الدواوين الشعرية الفصيحة والعامية منها: الرعد في مواسم القحط 1975- تحلة القلب 1981- تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة 1982- رؤيا الفتح 1983- هي الهجس والاحتمال 1983- المزمور

عرار " التي ألفها في مهرجان جرش 2014، وقد قدّم بين يدي القصيدة بقوله: إن عرارا من أهم التجارب الشعرية التي يلتقي معها في تجربته الشعرية، ومن القصيدة:

"من صبح المنامة يا خليل الحُبّ جئت إليك يا عرار

جئت إليك محمولاً على شغفٍ كأنّ الصبح يفتح بابه الخلفي

جئتُ إليك أركض فوق ساق الريح

مشتعلاً بما عشناه في أيامنا الأملّ

يصاحبنا النسيم الأردنيّ العذب

في تجوالنا الليلي بين خيال من سكنوا

كعطر الله يسكن في دم الأزهار...¹¹"

أما الشاعر السوري ياسر الأطرش¹² فعرار بالنسبة له "مشروع شعري متكامل"¹³، وقف على قبر عرار، وأنشد

قصيدته " عرار في سورة مريم:

"قومي روح إربد من سباتٍ

وصلّي ركعتين

وقولي حيّا على خير البنين

عرار ابني الذي ما كان جباراً عصياً¹⁴ "

يحضر في ديوان ياسر الأطرش (عرار) بصورة لافتة ، حيث خصص له في القسم الثاني من ديوانه (أنا إنسان)

مجموعة قصائد تحت عنوان (عراريات).¹⁵

(11) 1983 - للعناصر شهادتها أيضا 1986- مشاغل النورس الصغير 1987- ذاكرة الموّاقد 1988- واعرباه 1991. وله مسرحية شعرية بعنوان : السموّال 1991، ومجموعات من شعر الأطفال : أغاني العصفير 1983- شجرة الأطفال 1983- قصائد الربيع 1989- الأصابع 1991، وديوان من الشعر العامي: آفا يا فلان 1983.

<http://www.alrai.com/article/655669.html> صحيفة الرأي الأردنية، 26-6-2014

(12) ياسر الأطرش ، شاعر من سوريا ، ولد في مدينة سراقب في محافظة إدلب السورية، 1973 ، له مجموعة من الدواوين .

(13) http://ahmedtoson.blogspot.com/2010/11/blog-post_5444.html

(14) يدعي الشاعر أن السيدة همسة يونس سطت على قصيدته " (عرار في سورة مريم) كاملة دون حذف أو تغيير ، حتى العنوان والإهداء

(إلى شاعر الأردن الإشكالي) ، وهي فلسطينية الأصل ، تقيم في الإمارات العربية ، والقصيدة منشورة في ديوانها الذي صدر سنة 2010

http://ahmedtoson.blogspot.com/2010/11/blog-post_5444.html

(15) ياسر الأطرش (أنا إنسان) دار اليمان ، حلب : 2013 http://ahmedtoson.blogspot.com/2010/11/blog-post_5444.html ..

وعلى مستوى الشعر الشعبي حققت قصيدة عمر الفرا (عرار) حضورا لافتا منذ أن ألقاها الشاعر في ساحة بلدية إربد في 2008\9\16 ومنها :

اعتبرني ضيف واقبلني على جهلي بمضافاتك

اعتبرني جاي اتسلم رسالة وأحيي راياتك

يا عرار احنا غير اللي كنا تخبرهم امبارح

نسينا نبرة الأحرار . نسينا كل بداوتنا

نسينا كل أصالتنا . نسينا كل عربيتنا

قوم عرار عسكرنا على الجبهات

عرار العرب محتاجين سيف يجابه الردة

محتاجين للنخوة وصوت يسافر بمده"

حضور عرار عند الشعراء الأردنيين

يمثل عرار لكثير من الشعراء الأردنيين الشيء الكثير، فهو شاعر الوطن والحرية والجمال، وهو مرآة يرى كثيرون فيها أنفسهم.

يمكن الحديث عن حضور عرار في شعر الشعراء الأردنيين ابتداء من مهرجان عرار الأول الذي عقدته جامعة اليرموك 2-4 نيسان 1989، وشارك فيه الشعراء: حيدر محمود وعبد الرحيم عمر وحبيب الزيودي وخالد محادين ومحمود فضيل التل وآخرون.

في هذه المناسبة ألقى حيدر محمود¹⁶ قصيدته الشهيرة " نشيد الصعاليك " كانت هذه القصيدة من الممنوعات، ولأقى الشاعر جرها التضييق من السلطة السياسية، جاء فيها¹⁷:

"عفا الصفا وانتقى يا مصطفى وعلت ظهور خير المطايا شر فرسان

(16) حيدر محمود هو شاعر أردني ولد في فلسطين عام 1942م، أنهى دراسته في عمان، له عدد من الدواوين والمسرحيات من أعماله : مرّ هذا الليل 1969، اعتذار عن خلل فني طارئ 1979م، شجر الدفلى على النهر يغني 1981م، لاثيات الحطب 1985م، من أقوال الشاهد الأخير 1986م، النار التي لا تشبه النار 1999، مالجبل 1999م، في البدء كان النهر 2007م، عباوات الفرح الأخضر 2008م
(17) حيدر محمود، الأعمال الكاملة، عمان، مكتبة عمان: 1990، ص113.

فلا تلم شعبيك المقهور إن وقعت
 عيناك فيه على مليون سكران
 قد حكموا فيه أفاقين ما وقفوا
 يوما يارب أو طافوا بشيخان
 يا شاعر الشعب صار الشعب مزرعة
 لحفنة من عكاريك وزعران
 لا يخلون وقد باعوا شواربنا
 من أن يبيعوا اللحى في أي دكان "

وهي القصيدة التي يعارض فيها قصيدة عرار الشهيرة التي مطلعها :

عفا الصفا وانتقى من كوخ ندماني
 وأوشك الشك أن يودي بإيماني
 شربت كأساً ولولا أنهم سكروا
 بخرمتي وسقاني الصاب ندماني

أما خالد محادين¹⁸ فقد كان لقصيدته (على قبر عرار) حضور بين مختلف فئات المجتمع الأردني، ففي الوقت الذي لم تكن وسائل التواصل متاحة كما هي الحال الآن كانت القصيدة تصور وتوزع سرا، يتناقلها المحتجون في أثناء أحداث معان في ما دعي بهبة نيسان 1989 جاء في القصيدة¹⁹:

"مذ غاب وجه "أبو وصفي" وغيبنا
 شوق إليه وهذا الساح ينتعل
 ارقد أبا الكأس لا كأسا تهش لها
 حتى الخرابيش قد أودت بها الفل
 الكل يعرض أوطانا ولا شغب
 والكل يعرض أعراضا ولا خجل
 وندمن الخزي كي نجني مكاسيهم
 ونحمل الخزي يا أبناءنا "اصطفلوا"
 فليس نجرؤ أن نبكي على وطن
 تقاسم الخير في أرجائه "السفل"
 ماذا بعمان لو ناديت ما سمعوا
 ماذا بشيخان لو ناديت ما وصلوا
 ووادي عبدون لو تدري منارتنا
 تعانق الغيم تزييفا وتنتحل

(18) ولد خالد عطا الله المحادين في الكرك عام 1941، شاعر وقاص، من أعماله: نسي إنها عذراء (3 قصص) بيروت: منشورات عويدات، 1960. صلوات للفجر الطالع (شعر)، ط1، عمان: المطبعة الهاشمية، 1969. ط2، عمان: وزارة الثقافة والتراث القومي، 1988 الحب عبر المنشورات السرية (شعر) طرابلس الغرب: (دن) 1976 . مسافرة في الجراح (شعر) بيروت: (دن) 1978. بطاقات لا يحملها البريد (نصوص)، عمان: وزارة الثقافة والشباب، 1980. حصاد الرحلة الحزينة (شعر) عمان : وزارة الثقافة والشباب، 1982. رسائل إلى المدينة لم تطهرها النار (نصوص)، عمان: وزارة الثقافة والشباب والآثار، 1984. آخر الملكات (شعر)، عمان 1985. (أوراق جديدة من دفتر قديم (شعر) عمان: المؤسسة الصحفية الأردنية، 1987. ديوان الحجر (شعر) عمان: المؤسسة الصحفية الأردنية، 1990. الطربيع (مجموعة قصصية) عمان: المؤسسة الصحفية الأردنية، 1987. الأعمال الشعرية الكاملة، عمان: مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، 1990. من دفاتر امرأة متعبة (شعر) عمان: دار آرام، 1993

(19) الأعمال الشعرية الكاملة، عمان: مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، 1990

"مذ غاب وجه "أبو وصفي" وغيبنا شوق إليه وهذا الساح ينتعل

تمثل هاتان القصيدتان خروجاً عن المؤلف من الشعر الذي أنتجه الشعراء الأردنيون في تلك الفترة من حيث جرأتهما في الطرح، ومع هذا فإن الباحث لا يعدهما ممثلتين لحضور عرار في الشعر الأردني ذلك أنهما تمثلان شعر مناسبة آنية، إذ لا نجد لعرار أثراً عند هذين الشاعرين في ما كتبا من شعر قبل المناسبة وبعدها، ومن شعراء جنوب الأردن ثمة حضور لعرار عند باسل رفاعية، وعاطف الفراية، ومحمد البدور²⁰.

أما شعراء إريد فلا يجهد المرء نفسه كثيراً وهو يبحث عن حضور عرار في شعرهم، على رأسهم محمود فضيل التل، ومحمود الشلبي، وأحمد الخطيب وعبد الرحيم الجداية وآخرون.

من شعر محمود الشلبي²¹ ، من قصيدة: خَفَّ القطين²²

"وتلك روح عرارٍ في معارجها تخضراً في كَرْمَةِ الدنيا وتنبثق

فالرَّبْعِ يا شاعري شالت نَعَامَتُهُم والصحب في دمع شوقٍ يا أخي غرقوا

والناس كالكاس ما عادت مودتهم على الوفيّ بنفع، بل هي المَلَقُ"

إلى أن يقول :

في تَلِّ (إريد) يأتي سِرْبُهُمْ غَرْداً كأنَّهُمْ في حِفَافِ الغيمِ قد بَرَقُوا "

في هذه القصيدة يحضر عرار بشخصيته المتمردة، وبرموزه الشعرية، ومعجمه الذي يلامس المتداول من الألفاظ المغرقة بالمحلية .

(20) ينظر : زياد الزعبي، مقالات ونصوص ثقافية ، منشورات وزارة الثقافة، 2002م. ، ص ص 51 . 53.

(21) ولد الشاعر محمود محمد مصطفى الشلبي في دنأ/ بيسان سنة 1943، من دواوينه : عسقلان في الذاكرة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1976. ويبقى الدم ساخناً، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، 1982. أشجار لكل الفصول، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1985. منازل لقمر الآس، وزارة الثقافة، عمان، 1991. أجيئك محترساً من نبضي، وزارة الثقافة، عمان، 1996. أحلام نافرة، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، 1997. سلام الدهشة، وزارة الثقافة، عمان، 2002. سماء أخرى، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع بدعم من أمانة عمان الكبرى، 2007.

(22) الشلبي في هذه القصيدة يعارض قصيدة الأخطل " خف القطين " التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان، والقطين (القاطنون) أي المقيمون من أهل الدار .

أما محمود فضيل التل²³ فبينه وبين عرار مسافة في اللغة والأسلوب، ومع هذا لم يرغب عرار عن شعره، فكتب أربع قصائد يذكر فيها عراراً منها: عرار والأردن²⁴، وهي القصيدة التي ألقاها في مهرجان عرار الأول في جامعة اليرموك 1989، ومنها :

يا شعر إن أنت لم تحفظ عراراً لذا لا كنت شعراً ولا للشعر نحتكم
في تل إربد باق أنت ذروته في كل ما قد نظمت اليوم نعتصم
هذا عرار على نجواه قد كرمت نفس إلى وطن كالنار تضطرم

ومن قصيدة (بين العشيات، مرثية لكل حين)²⁵

"أراحل أنت من يأتي لينقذني؟ ومن سواك إذا ما غبت يأتيني؟
أذاكر أنت؟ هل للموت ذاكرة؟ ما زلت تحيا بها شوقاً وتؤويني
ما كنت أحسب أن الموت يفجعنا قبل الأوان وبالنييران يرميني"

وفي عام 1996 في مهرجان عرار الشعري الذي أقيم في بيت عرار وقف الشاعر "على ضريح عرار" وأنشد²⁶:

"ناشدتك الله إما مت لا تدعي دمعا علي من العينين ينسكب

إلى أن يقول :

عرار عندي سؤال كيف أسأله؟ وأنت تحت الثرى تتأى وتحتجب
فما تراك إذا ما عدت تنبئنا؟ ما قلت صدقا وفي أقوالهم كذبوا
فرهط شيلوخ صالوا في مرابعنا وقد نسينا الذي منهم وما سلبوا"

ومن قصيدة "يا بنت وادي الشتا" التي ألقاها في مهرجان عرار الشعري 1998:²⁷

"يا بنت وادي الشتا لا توقظي شجني فالوقت يا حلوة العينين لم يحن
يا أردنيات سفح التل مرقده فإن نسجتها فانسجن لي كفني"

(23) محمود فضيل التل، ولد عام 1940 في إربد، من دواوينه الشعرية: أغنيات الصمت والاعتراب 1982 - نداء للغد الآتي 1985 - شراع الليل والطوفان 1987 - وجدتك عالماً آخر 1988 - جدار الانتظار 1993 - هامش الطريق 1995. وغيرها .

(24) محمود فضيل التل، مختارات شعرية، ص 139

(25) نفسه، ص 280

(26) نفسه، ص 505

(27) نفسه، ص 425

في القصيدة تناص واضح مع قصيدة عرار الشهيرة التي يقول فيها:

"يا أردنيات إن أوديت مغترباً فانسجنا بأبي أنتن أكفاني

وقلن للصحب واروا بعض أعظمه في تل إربد أو في سفح شيحاني"

يستحضر الشاعر أحمد الخطيب²⁸ عرارا ورموزه الشعرية في قصيدة " تلة الشعر " ، حيث يقول:²⁹

"جئنا لنفتح باب القصيدة

تجري الربابة في المحو

نسأل عن آخر الشعراء القدامى...

جئنا لنفتح باب القصيدة

من تلّ إربد حتى عشيات وادي النشامى

لنفتح باب القصيدة في الصحو

نمسك أغصانها

حين تبدو المرايا ندامى

قديماً تعللت بالماء

حين وجدت يدي بالنسيب لها حكمة

وانفردت على باب أمي؛ لكي أعلم الأمر

يا أمر هل جاءني بالمفردات الأيامي؟

قديماً رأيت الذي قد رأني هنا

ومن نيزك الأرض كان أبي بالنسيب

(28) أحمد الخطيب ولد في إربد عام 1959، صدر له العديد من دواوين الشعر، أعاد نشر ثلاثة عشر ديواناً منها في الأعمال الشعرية ، عن دار الجنان، عمان : 2005 ثم نشر بعدها: أحوال الكتابة (ديوان شعر) أمانة عمان الكبرى 2005 13_ (وما زلت أمشي)، ديوان شعر) اتحاد الكتاب العرب 2005 14_ باتجاه قصيدة أخرى (ديوان شعر)، وزارة الثقافة الأردنية 2007 15_ حمى في جسد البحر (ديوان شعر) أمانة عمان الكبرى 2009 ، ولا نقل للموت خذ ما شئت من وقت إضافي (ديوان شعر) دار الجنان 2009 وحارس المعنى (ديوان شعر) دار الجنان 2010، و كأنني لست من حرسى (ديوان شعر)، دار ليجوند الجزائر 2011 ، وكما أنت الآن كنت أنا (ديوان شعر) دار الجنان عمان 2012 .

(29) أحمد الخطيب، الأعمال الشعرية، ص 101

يبد جناحين حتى أرى ما أرى من خزامى

إلي به يا أبي يا جليس الندى

ويا خرماً قد دنا من حصاني

إلي به يا أبي، يا طريد المدينة عاماً فعاماً".

يردد الشاعر في هذه القصيدة نداءه لعرار (يا أبي) أبوة الشعر والحالة (العرارية) المتمردة، وتحضر رموزه الشعرية المكانية حيث تل إربد والغجر والهبر والعشيات.

من أكثر الشعراء الأردنيين تكريرا لعرار ورموزه الشعرية الشاعر نايف أبو عبيد³⁰، فلشاعر تجربة حياتية مع عرار، فقد عايشه وشاركه هموم أمته، من شعره في ذلك³¹:

"واعتلى السرج يا عرار صغار هم والله داؤنا والبلية

لم يعد هاهنا رافض يتحدى في محياه للدماء بقية

لم يعد يا عرار صوت نقي بعدما غابت النفوس الأبية."

في هذا المقطع يتناص مع قصيدة حيدر محمود ذائعة الصيت، سابقة الذكر. وكذا يستحضر الشاعر محمد مقدادي³² شخصية عرار في غير واحدة من قصائده، يقول :

"إيه يا مصطفى، ليس ما مصطفى

ليس ما يخرج القلب عن نبضه لو صفا

وطن قاحل والربيع انطفى

وموت على كل باب انطفى"

لقد كان لإنشاء بيت عرار، وما يقام فيه من مهرجانات شعرية؛ دور بارز في استلهام شخصية عرار، عند مجمل من كتب الشعر في محافظة إربد منذ تسعينات القرن الماضي ومطلع الألفية الثالثة، ويندر أن تجد شاعرا

(30) الشاعر نايف أبو عبيد، ولد في الحصن عام 1935، وأصدر أولى مجموعاته الشعرية باللغة الفصحى، وهي أغنيات للأرض عام 1960، وفي العام 1976 أول مجموعة باللهجة المحكية حملت عنوان "هرجة وحكاية ليل"

(31) من قصيدة ألقاها الشاعر في بيت عرار، مهرجان عرار الشعري، 2012

(32) محمد علي مقدادي ولد عام 1952 في بيت إيدس محافظة إربد. صدر له عدد من الدواوين منها: في منتجع الهم 1984 — أحلام القنديل الأزرق (نصوص شعرية) 1984 - حالات خاصة من دفتر العشق 1988 - الإبحار في الزمن الصعب 1989، ومسرحية شعرية بعنوان: الانفجار 1985.

في إريد لم يشر لعرار في شعره ، أذكر منهم عبدالرحيم جداية، وعبد الكريم أبو الشيخ وعبد الرحيم مراشدة. أما حبيب الزيودي فيشكل حالة استثنائية في الشعر في الأردن .

حضور عرار في شعر حبيب الزيودي

إن أجلي توسمات عرار وأوضحها كان لدى الشاعر حبيب الزيودي. ولعلّ المرء حين يروم التحدث عن أثر عرار في الشعر الأردني فإنه يتحدث عن أثر عرار في شعر حبيب، ولست بقائل إن شعر حبيب يختزل المشهد الشعري في الأردن، أو أنني أختزل الشعر الأردني بحبيب، وإنما هي الإشارة إلى أن عرارا، وإن كان له حضور عند غير واحد من الشعراء في الأردن إلا أنه تجلّى على خير ما يكون التجلي في تجربة حبيب الشعرية، والقارئ لا يحتاج إلى فطنة وحصافة ليجد عرارا جلياً أو خفياً عند حبيب، إن على مستوى اللغة أو الصور أو الإيقاعات أو المضامين.

وقد اتخذ هذا الحضور شكلين؛ حضوراً مباشراً على نطاق ضيق في قصائد معدودة كرّسها الشاعر للحديث عن عرار، وحضوراً غير مباشر في مختلف المستويات.

يتضح الحضور المباشر لعرار في قصيدة حبيب في مئوية عرار³³:

أبعد ظلالك عن كلامي .. إني عبدتك ألف عام

ما مسّ برقك حين فججج في السماء سوى عظامي

أبعد غمامك عن حقولي فهي تستسقي غمامي

اليوم لي لغتي وترعى في مفايلها رئامي

واليوم لي باعي وإيقاعي يفيض على كلامي

إلى أن يقول في البيت الأخير :

وخلطت في سكري وعريدتي الحلال مع الحرام.

يصرح حبيب في مطلع القصيدة مخاطباً عرارا برغبته في التحرر من ظلاله، ولكن كيف يكون له ذلك وقد "عبدتك ألف عام"؟ إلى أن يقول معابثاً عرارا:

"خلفتني وحدي"

(33) ناي الراعي، حبيب الزيودي، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2002م، ص381.

ويتضح الحضور الأبرز في تمثّل حبيب لشخصيّة صاحبه في قوله :

"وخلطت في سكري وعربدتي الحلال مع الحرام".

وكأنك وأنت تقرأ هذا المقطع لحبيب تقرأ معه قول صاحبه³⁴:

"ماذا على الناس من سكري وعربدتي

ماذا على الناس من كفري وإيماني".

وهو أقصى ما تتمثّل به شخصية عرار من عدم إقامة للمعايير الأخلاقية المجتمعية السائدة، وهي وإن كانت مقبولة من الشاعر وصاحبه بوصفهما شاعرين غير مقبولة من سواهما. والمرء لا يملك حق محاكمة النص من الوجهة الأخلاقية، فهو نص فني له معايير الفنية حسب.

وحين تقرأ لحبيب:

يا أردنيات أشلائي مبعثرة فمن تلممني يا أردنيات

تتفياً معه ظل عرار في قصيدته المشهورة التي يقول من ضمنها:

يا أردنيات إن أوديت مغترباً فانسجنها بأبي أنتن أكفاني

أما الحضور غير المباشر لعرار في شعر حبيب فيمكن رصده وفق المحاور الآتية:

أولاً: الشخصية العرارية:

يمثّل عرار الشخصية المتمردة على كثير من الترسيمات المجتمعية والمعايير التي تحدّد لها السلطة بمختلف أنواعها وأشكالها؛ حاكمية أو دينية أو مجتمعية أو أبوية. كان ثائراً زاهداً فوضوياً حدّ العبث أحياناً، وطنياً أردنياً حدّ قوله³⁵:

"يقول عبود جنات النعيم على أبوابها حارس يدعوه رضوانا

من ماء راحوب لم يشرب وليس له ريع بجلعاد أو حي بشيحانا

ولا تقياً في عجلون وارفة ولا حدا بهضاب السلط قطعانا"

(34) عشيات وادي اليباس، جمع وتحقيق: زياد الزعبي، المؤسسة الصحفية الأردنية، الرأي، 1982م. حول هذه القصيدة ينظر: غسان عبد الخالق، "كيف أزاح الابن أباه" عرار، قراءة جديدة، زياد الزعبي وآخرون، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2002، ص203-210 ومحمد حور، عرار، قراءة

جديدة، ص89-91

(35) العشيات، القصيدة النونية.

إلى أن يقول:

"إن كان يا شيخ هذا شأن جنتكم
وقل معي بلسان غير ذي عوج
أبعد بها إنها ليست بمرمان
لا كنت يا جنة الفردوس مأوانا"

هذا الحضور جليٌّ عند حبيب سواءً على مستوى الحياة الشخصية أو الفنية. ولا يصح القول بأن حبيبا تأثر بعرار على مستوى التجربة الشخصية إنما هي الظروف وتشاكلها والأحداث أوجدت ما يمكن تسميته بالشخصية العرارية الأردنية³⁶، ولربما كانت عند حبيب أجلى وأوضح، وهي على أوضح ما تكون في قصيدة حبيب نشيد الشنفرى³⁷:

تمرّد كي تمد له الأغاني
أقاصيها فروعاً أو عروقاً
هم الشعراء أصفاهم غناءً
على الأيام أوعرهم طريقاً
وهم كالنخل أعلامهم غصوناً
من الأوجاع أحلامهم عذوق
ترى لو عاد ثانيةً... أيلقى
إذا ما عاد في الدنيا فروقا
قبائل ما تزال على عماها
وما زال الرقيق بها الرقيقاً
وظل يصيح بالدنيا أفيقي
وظل يهزها حتى تفيقا

(36) ينظر: مقدمة د. خالد الكركي لديوان حبيب الزيودي الأول، الشيخ يحلم بالمطر، منشورات أمانة عمان، 1986م، ص 11-12

(37) ناي الراعي، منشورات أمانة عمان، 2002م، ص 289.

تبسم وهو يزوي مطمئناً

وأشعل في ضمائرنا الحريقا

وقصيدته التي يجلي فيها موقفه من المدنية بشكل عام وعمان، بشكل خاص، من بواكير شعره³⁸:

يا ليت عمان قد مدت الي يداً

بعد الفراق فإني قد بسطت يدي

أو ليت عمان بعد الصّدّ تسمعي

فقد وهى بالهوى من بعدها جلدي

الله يعلم أنى ما نكثت لها

عهداً ولا فارقت روعي ولا خلدي"

ثانياً: ظهور المكان الأردني بتفاصيله:

لحوران وإربد وعمان وحسبان وراحوب وغيرها ألق خاص في شعر عرار، وهي ذاتها وغيرها الكثير في شعر حبيب؛ فصيحج وما كتبه شعرا عاميا، ولا شك في أن الأديب حين ينطلق من التفاصيل المحليّة الصغيرة للمكان يقدم خصوصيته التي تسم تجربته وتعلقه بأشياءه، خصوصية لا تتعارض أبداً مع التجربة الإنسانية الأوسع، حين تغدو (العالوك) القرية الوداعة بين أشجار البلوط لا رمزاً للوطن حسب بل تجربة مكانية في علاقتها بالشاعر، تتخطى حدود الجغرافيا، كذا كانت إربد وتلها، وحوران وسهولها عند عرار:

بحوران اجعلوا فبرى لعلّي

أشم أريجها بعد الغداء

ولعلّ حبيبا كان واعياً لما يقوم به حين نسج قصيدته السينية عن العالوك مشاكساً عرارا في سينيته المشهورة³⁹.

قطرتها في كتابي خمرة مزجت

بريشتي،

(38) ناعي الراعي، مرجع سابق، ص80.

(39) ينظر: قصيدة العالوك، ناي الراعي، ص349. وعشيان وادي اليايس، ص280، وقد أشار إلى المسألة عمر القيام في كتابه، ناي الراعي،

عمان، دار البشير، 2007م، ص77-80.

وتعاويذي،

وأنفاسي،

ما ذقتها، فأنا الساقى أطوف بها

في حانة العشق

نشوانا على الناس

جرارها الراعيات السمر فالية

على الروابي

بقطعان

وأجراس

جرارها

كل رمح شق خاصرتي

مهفهف

من رماح البدو مياس "

إلى أن يقول:

"غدا تجف دواليها ويضجرها

أن الندامى إذا جفت ستهجرها

لذا تركت لهم خمرا بقرطاسي "

والقصيدة كما هو واضح عمودية وزنا وقافية وإن تم تشطيرها على نسق الشعر الحر

ثالثاً: على مستوى اللغة:

إن شعر حبيب الذي حوى جله ديوان راهب العالوك⁴⁰ الذي جمعه عمر القيام بعد وفاته يشف عن لغة رقيقة تشتم منها رائحة الخزامى والند والهبل والبن، وهي لغة تترفع عن اليومي والعادي إلا أنها تتقاطع مع لغة عرار، سوى ما يلتقطه القارئ من نزق عرار الذي يُلجئه إلى مفردات موعلة في المحلية الأردنية الإردنية غير أن حبيباً وإن حاول كتمانها وكبح نزقها-أزعم أن المرء واجدها في أوراقه.

رابعاً: على مستوى الرموز الشعرية:

إن كثيراً من الرموز الشعرية الوطنية منها خاصة التي احتقى بها حبيب واردة عند صاحبه. ولعل من عيون شعر حبيب قصيدته للشهيد المرحوم صايل الشهبان⁴¹، تلك الشخصية التي لا يفتأ حبيب يتغنى بها بوصفها ممثلة لإنسان هذه الأرض ببديوته وأردنيته وعروبته، شجاعة ونبلاً وفروسية. يقول حبيب:

جادت به شهقات الغيم فانسكبا

على الفيافي رهاماً، راهشاً، عذبا

فتى به سمرةً تغوي البنات إذا

ما سرح المهرة الشهباء أو ركبا

وظن أن الحوايا فضةً ورأى

حصى النيابيع في شمس الضحى ذهباً

في فتية خيطوا الصحراء من دمهم

وعلموا أهلها التحنان والطربا

(40) الزبودي، حبيب، راهب العالوك، الأعمال الشعرية الكاملة، جمعها وقدم لها الدكتور عمر القيام، مطبعة الأطلال، عمان ط1، 2015م.

(41) شيخ عشيرة العجارمة، استشهد في أثناء ما دعي بثورة العدوان، يوم 1933/9/6م.

نادتهم الأرض فامتدوا بها شجرا

وأوجبوا لنداء الأرض ما وجبا

أولئك الصيد آباتي وما عرفت

قصائدي بعدهم أهلا ولا نسبا

سبعون عاماً وما زلنا نعابته

على الجنون، فلم يسمع لنا عتبا

غير أن الشهيد صايل الشهوان كان حضوره عابراً في شعر عرار وذلك في قصيدته المشهورة⁴²:

قسما بماحص والفحيص والطفيلة والثنية ودم ابن شهوان الزكي ومصرع النفس الأبية

رابعاً: على مستوى الشكل الشعري والإيقاع:

مع أن المقارنة لا شك ظالمة، من حيث إنّ عرارا يمثل ريادة شعرية على مستوى الوطن العربي، حيث المغامرات الشعرية كانت في تلك الفترة الزمنية في حدود التجريب لما تبرحه حين شكلت مدرسة أبولو ومدرسة الديوان نسقين شعريين لم يحاول عرار الانسلاخ في أحدهما، متخذاً لنفسه خطأً ثالثاً خاصاً به، مازجاً مختلف تشكلات الصورة الشعرية في حينه، أقول على الرغم من افتراق المقاربة فإن حبيبا قد جاوز منازل صاحبه على مستوى الإيقاع الشعري⁴³، خاصة في قصيدته "إنّ الحياة جميلة جداً" التي يمزج فيها بين القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة وقصيدة النثر وهو يصرح في مقابلة معه أنه يروم قصيدة ينتقل فيها بين أضرب الشعر؛ فصيحته وعاميته دون أن يشعر القارئ بنفور الإيقاع أو اللغّة. على هذا المستوى يمكن القول إن الريادة التي بررت لعرار أشكالاً متباينة من التجريب تبرّر لصاحبه تمثل طريقه في ريادة فضاءات شعرية رحبة تسجل له مكانة تذكر بعد حين.

(42) العشيات، ص 433-435

(43) ينظر: ملامح من البنية الإيقاعية في شعر عرار، سامح الرواشدة، ضمن كتاب عرار قراءة جديدة، ص 145-147.

الخلاصة

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولاً: شكّل عرار حالة إنسانية وجدانية في التراث الشعري الأردني.

ثانياً: وظف مجمل الشعراء في الأردن، خاصة شعراء شمال المملكة شخصية عرار في أشعارهم، غير أن الحضور اللافت للانتباه كان في شعر حبيب الزيودي، لغة ورموزاً شعرية وإيقاعاً، وقد كان للتشابه بين شخصية عرار وشخصية حبيب دور كبير في ذلك .

ثالثاً: تجاوزت شخصية عرار بوصفه شاعراً ثائراً المكان الأردني إلى محيطه العربي.

رابعاً: كان للمهرجانات الشعرية التي أطلقتها جامعة اليرموك سنة 1989 الدور الأبرز في لفت انتباه الشعراء لشخصية عرار .

خامساً: مثل حضور عرار في الشعر العربي المعاصر حالة فريدة، إذ قلما يوظف الشعراء شخصيات معاصرة في أشعارهم.

المصادر والمراجع:

- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، 1978م.
- أحمد الخطيب، الأعمال الشعرية، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان: 2005م.
- أدونيس، مقدّمة للشعر العربي، بيروت، دار العودة، ط1، 1971م.
- حبيب الزيودي، راهب العالوك ، الأعمال الشعرية الكاملة، جمعها وقدم لها الدكتور عمر القيام، مطبعة الأطلال، عمان ط1، 2015م.
- حبيب الزيودي، ناي الراعي، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2002م.
- حيدر محمود، الأعمال الكاملة، عمان، مكتبة عمان: 1990م.
- الرباعي، عبد القادر، عرار الرؤيا والفن، عمان، دار أزمنة، 2002م.
- رينيه ويلك وأوستن واين ، نظرية الأدب ترجمة: عادل سلامة ، دار المريخ، الرياض: 1991م.
- زياد الزعبي، عشيات وادي الياض، جمع وتحقيق: زياد الزعبي، المؤسسة الصحفية الأردنية، الرأي، 1982م.
- زياد الزعبي وآخرون، عرار، قراءة جديدة، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2002م.
- الشلبي، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، عمان: مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، 1990م.

- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، جامعة البعث، حمص: 1994م.
- علي الشّرع، عرار والأطروحات الشعريّة الحديثة، مقالة ضمن كتاب مصطفى وهبي التّلى (عرار) قراءة جديدة، وزارة الثقافة الأردنية، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت : 2002م.
- عمر القيام، ناي الراعي، عمان، دار البشير، 2007م.
- العودات ، يعقوب (البدوي الملقّب)، عرار شاعر الأردن، منشورات وزارة الثقافة الأردنية ، 2011م.
- غسان عبد الخالق، "كيف أزاح الابن أباه" ضمن كتاب: عرار، قراءة جديدة، زياد الزعبي وآخرون مؤسسة عبد الحميد شومان، 2002م.
- فحماوي، كمال، مصطفى وهبي التّلى، 1899-1949، د.ت.
- محمد حور، ضمن كتاب: عرار، قراءة جديدة، زياد الزعبي وآخرون، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2002م.
- محمد علي مقدادي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان: 2009م.
- محمود عبيدات ، سيرة الشاعر المناضل مصطفى وهبي التل (عرار)، ٧٩٨١-٩٤٩١، وزارة الثقافة، 1996م.
- محمود فضيل التل، مختارات شعرية، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان: 2006م.
- أبو مطر، أحمد، عرار الشّاعر اللامنتمي، 1977م.
- المطلق، محمود، عشّيّات وادي اليباس ، ط1، 1954م.
- ياسر الأطرش (أنا إنسان) دار اليمان، حلب: 2013م.
- يعقوب العودات (البدوي الملقّب) عرار شاعر الأردن ، بيروت : دار القلم: 1980م.
- <http://www.alrai.com/article/655669.html>
- http://ahmedtoson.blogspot.com/2010/11/blog-post_5444.html
- http://ahmedtoson.blogspot.com/2010/11/blog-post_5444.html